Anusandhanvallari
Vol 2021, No.1
December 2021
ISSN 2229-3388

الوعي الحضاري والرؤية الإصلاحية في رواية "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني

Abdul Rasheed K S, Assistant Professor
Research Department of Arabic, Maharaja's College
Ernakulam, Kochi – 11

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مظاهر بناء الوعي الحضاري في رواية *عمر يظهر في القدس* لنجيب الكيلاني، وبيان الرؤية الإصلاحية الإسلامية التي تقوم عليها. وتستمد أهميتها من مكانة الرواية في الأدب الإسلامي المعاصر، ومن تناولها للقدس بوصفها قضية حضارية ذات أبعاد فكرية وثقافية وأخلاقية تتجاوز الصراع السياسي والعسكري. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل النص وربط مضامينه بالمرجعية الإسلامية للكاتب.

وتوصلت الدراسة إلى أن الكيلاني جعل القدس رمزًا للهوية الحضارية للأمة الإسلامية، ووظّف شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للكشف عن أسباب التراجع الحضاري ومقارنة الواقع المعاصر بالماضي الإسلامي الزاهر. كما أبرزت الرواية العلاقة بين الهزيمة الخارجية والانحراف الداخلي، مؤكدة أن التحرير الحقيقي يبدأ بإصلاح الإنسان وترسيخ العقيدة وإحياء القيم الإسلامية وبناء الوعي الحضاري.

وبيّنت الدراسة أن الرؤية الإصلاحية في الرواية ترتكز على العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وتعزيز الوحدة الإسلامية، وتنمية المسؤولية الفردية والجماعية، وربط الجهاد بالبناء التربوي والفكري. وقد جسّد الكيلاني هذه المضامين عبر توظيف الشخصية التاريخية والمفارقة الزمنية والحوار الفكري والرمزية الحضارية، مما منح الرواية بعدًا إصلاحيًا متميزًا.

وتخلص الدراسة إلى أن *عمر يظهر في القدس* تمثل نموذجًا بارزًا للرواية الإسلامية التي تجمع بين القيمة الفنية والرسالة الفكرية، وتسهم في بناء وعي حضاري يؤكد أن النهضة لا تتحقق إلا بالتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة وبناء الإنسان القادر على الإصلاح والتغيير.

المقدمة

Anusandhanvallari
Vol 2021, No.1
December 2021
ISSN 2229-3388

شهدت الرواية العربية المعاصرة تطورًا ملحوظًا جعلها أداة للتعبير عن قضايا الأمة وتحليل أزماتها الفكرية والحضارية. ومن أبرز الاتجاهات التي برزت في هذا السياق الرواية الإسلامية، التي سعت إلى تقديم رؤية متكاملة للإنسان والحياة انطلاقًا من المرجعية الإسلامية، وكان نجيب الكيلاني (1931–1995م) من أهم روادها تنظيرًا وإبداعًا .وتُعد رواية "عمر يظهر في القدس" من أبرز أعماله الفكرية والحضارية، إذ تتناول قضية القدس بوصفها رمزًا للعقيدة والهوية الحضارية للأمة الإسلامية، وتتجاوز وصف الاحتلال إلى تشخيص أسباب التراجع الحضاري والبحث عن سبل النهوض. وتعتمد الرواية على استحضار شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى واقع القدس المعاصر، فيقارن بين النموذج الإسلامي الأول وواقع الأمة الراهن، مما يتيح للكاتب إقامة حوار حضاري بين الماضي والحاضر واستلهام عناصر القوة الكامنة في التجربة الإسلامية.

وتكشف الرواية أن أزمة الأمة لا تعود إلى العوامل السياسية والعسكرية وحدها، بل ترتبط بضعف الوعي والقيم والسلوك، وتؤكد أن النهضة تبدأ بإصلاح الإنسان وترسيخ العقيدة وإحياء القيم الإسلامية. ومن هنا تتجلى الرؤية الإصلاحية التي تربط بين تحرير الأرض وبناء الإنسان، وبين القوة المادية والأساس العقدي والأخلاقي للحضارة .وتنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى الكشف عن مظاهر بناء الوعي الحضاري في الرواية وتحليل رؤيتها الإصلاحية الإسلامية، وبيان دور السرد الروائي في خدمة المشروع الحضاري للكاتب. وتنطلق الدراسة من السؤال الرئيس: كيف أسهمت رواية "عمر يظهر في القدس" في بناء الوعي الحضاري من خلال رؤيتها الإصلاحية الإسلامية؟ ويتفرع عنه عدد من الأسئلة المتعلقة بمفهوم الوعي الحضاري، ومظاهره في الرواية، وأسباب التراجع الحضاري، وآليات الإصلاح والنهوض، ودور البناء الفني في تجسيد هذه الرؤية.

وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من بعض معطيات النقد الثقافي في تحليل الأبعاد الحضارية للنص. كما تستمد أهميتها من تناولها جانبًا لم يحظ بالعناية الكافية في الدراسات السابقة، وهو بناء الوعي الحضاري والرؤية الإصلاحية الإسلامية في الرواية، بما يكشف عن أبعاد جديدة في تجربة نجيب الكيلاني الروائية ويبرز الرواية بوصفها مشروعًا فكريًا وحضاريًا يسعى إلى إعادة تشكيل وعي الإنسان المسلم واستنهاض دوره في مواجهة تحديات العصر.

الدراسات السابقة

حظيت رواية عمر يظهر في القدس باهتمام عدد من الباحثين الذين تناولوها من زوايا نقدية وفكرية متنوعة، إلا أن معظم الدراسات ركزت على جوانب جزئية منها دون أن تتخذ من بناء الوعي الحضاري والرؤية الإصلاحية الإسلامية محورًا رئيسًا للبحث.

فقد تناول محمد بلقاسم بن جيدل في دراسته "التفاعل النصي في رواية عمر يظهر في القدس" العلاقات النصية التي أقامتها الرواية مع التراث الديني والتاريخي، مركزًا على استدعاء النصوص والشخصيات التاريخية ودورها في تشكيل البنية الفنية والدلالية للنص. كما درست سحر قريشي في "المقاومة الفلسطينية في رواية عمر يظهر في القدس" صورة المقاومة وأبعادها الفكرية والسياسية والدينية، ودور شخصية عمر بن الخطاب في تعزيز روح الصمود والمواجهة. أما مارية مشتاق فقد قدمت دراسة موضوعية للرواية تناولت شخصياتها وأفكارها الرئيسة وبعض القيم الإسلامية التي تضمنتها.

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات وإسهامها في الكشف عن جوانب متعددة من الرواية، فإنها لم تتناول بصورة مستقلة ومعمقة قضية بناء الوعي الحضاري والرؤية الإصلاحية الإسلامية، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته وإبراز أبعاده الفكرية والحضارية في الخطاب الروائي عند نجيب الكيلاني. تنبع أهمية هذه الدراسة من تناولها ثلاثة محاور أساسية هي: القدس، والرؤية الحضارية الإسلامية، والرواية بوصفها أداة لبناء الوعي. كما تستمد أهميتها من مكانة نجيب الكيلاني في الأدب الإسلامي المعاصر، ومن سعيها إلى الكشف عن البعد الحضاري والإصلاحي في رواية عمر *يظهر في القدس*، وإبراز دور الأدب الإسلامي في ترسيخ قيم النهضة والتجديد. وتتميز الدراسة كذلك بتناولها جانب الوعي الحضاري والرؤية الإصلاحية، وهو جانب لم يحظ بعناية كافية في الدراسات السابقة.

تهدف الدراسة إلى:

1. بيان مفهوم الوعي الحضاري في التصور الإسلامي.
2. الكشف عن مظاهره في رواية عمر *يظهر في القدس*.
3. تحليل الرؤية الإصلاحية وأسباب التراجع الحضاري كما يصورها النص.

4. إبراز آليات النهضة والإصلاح التي يطرحها الكيلاني.
5. دراسة الوسائل الفنية التي وظفها لتجسيد رؤيته الحضارية.
6. بيان دور الرواية الإسلامية في بناء وعي الأمة بقضاياها المصيرية.

مفهوم الوعي الحضاري في الفكر الإسلامي

يمثل الوعي الحضاري أحد المفاهيم المركزية في الفكر الإسلامي المعاصر، ويقصد به إدراك الأمة لذاتها ورسالتها ومكانتها بين الأمم، وفهمها للعوامل التي تسهم في تقدمها أو تؤدي إلى تراجعها. ولا يقتصر هذا الوعي على المعرفة التاريخية أو الثقافية، بل يشمل الوعي بالهوية والقيم والرسالة الحضارية التي يحملها الإسلام للإنسانية. وقد ارتبط مفهوم الحضارة في التصور الإسلامي بمفهوم الاستخلاف في الأرض، حيث جعل الإسلام الإنسان مسؤولًا عن إعمار الكون وتحقيق العدل ونشر الخير بين الناس، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: 61). ولذلك فإن الحضارة في الرؤية الإسلامية ليست تقدمًا ماديًا مجردًا، بل هي بناء متكامل يجمع بين الإيمان والأخلاق والعلم والعمل.

ويؤكد المفكرون المسلمون أن أي مشروع حضاري لا يمكن أن ينجح إذا انفصل عن منظومة القيم التي تمنحه التوجيه والمعنى. فالحضارة الإسلامية نشأت في ظل العقيدة الإسلامية التي أسست منظومة أخلاقية وإنسانية متكاملة، وجعلت من الإنسان محور عملية البناء الحضاري. ومن هذا المنطلق، ترتبط النهضة الحضارية في الفكر الإسلامي بإصلاح الإنسان قبل إصلاح العمران، لأن التغيير الحضاري يبدأ من داخل النفس الإنسانية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)

وقد انعكس هذا التصور بوضوح في رواية عمر يظهر في القدس، حيث ينطلق الكاتب من فكرة أن أزمة الأمة ليست أزمة قوة مادية فحسب، وإنما هي أزمة وعي وقيم ومفاهيم، وأن استعادة القدس لا يمكن أن تتحقق إلا إذا استعادت الأمة مقوماتها الحضارية التي فقدتها عبر مراحل طويلة من التراجع. ويظهر ذلك في عدد من الحوارات التي يربط فيها الكاتب بين الإيمان والنهضة، وبين الانحراف القيمي والتراجع الحضاري، مؤكدًا أن الحضارة الإسلامية قامت على أساس العقيدة الصادقة والالتزام الأخلاقي، وأن فقدان هذه الأسس كان سببًا في

ضياع المكانة الحضارية للأمة. ويشكل هذا التصور الإطار الفكري الذي تنطلق منه الرواية في معالجة قضية القدس، حيث تتحول المدينة المقدسة من مجرد أرض محتلة إلى رمز للهوية الحضارية الإسلامية، ويصبح تحريرها مرتبطًا بتحرير الإنسان المسلم من عوامل الضعف والتبعية والانقسام.

تجليات الوعي الحضاري في رواية "عمر يظهر في القدس"

تمثل رواية عمر يظهر في القدس مشروعًا فكريًا وحضاريًا يتجاوز حدود السرد الروائي التقليدي، إذ لا يقتصر هدفها على تصوير مأساة القدس أو إدانة الاحتلال الصهيوني، بل يتجه إلى بناء وعي حضاري شامل يسعى إلى تشخيص أسباب التراجع الذي أصاب الأمة الإسلامية، واستنهاض عناصر القوة الكامنة فيها. وقد تجلت هذه الرؤية الحضارية في عدد من المحاور الفكرية التي شكلت البنية العميقة للرواية.

استحضار عمر بن الخطاب بوصفه نموذجًا حضاريًا

تقوم الفكرة المركزية للرواية على استحضار شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى واقع القدس المعاصر، وهي فكرة تحمل أبعادًا فكرية وحضارية تتجاوز حدود التخييل الفني. فاختيار عمر لم يكن اختيارًا عفويًا، وإنما جاء لكونه يمثل في الوعي الإسلامي نموذج الحاكم العادل والقائد المصلح وصانع الحضارة. وقد حرص الكيلاني على تقديم عمر بوصفه شاهدًا على واقع الأمة ومقوّمًا لمسيرتها الحضارية، فجعل الشخصية التاريخية تواجه واقعًا مختلفًا عن ذلك الذي عرفته في عصر الفتوحات الإسلامية. ومن خلال هذه المواجهة تتولد المقارنة بين زمن القوة والوحدة والعدل، وزمن التراجع والتفرق والضعف.

وتكشف الرواية أن الكاتب لا يستدعي عمر بن الخطاب لمجرد استحضار الماضي أو تمجيد التاريخ، وإنما ليستحضر معه منظومة القيم التي صنعت الحضارة الإسلامية الأولى. ولذلك فإن حضور عمر في الرواية يمثل حضورًا للعدل والمسؤولية والالتزام والعقيدة والوعي الحضاري في مواجهة مظاهر الانحراف التي أصابت الأمة. ويبدو هذا المعنى واضحًا في الحوارات التي يجريها عمر مع الشخصيات المختلفة، حيث يتحول إلى صوت ناقد للواقع، يكشف أسباب الضعف ويعيد توجيه الأنظار إلى مصادر القوة الحقيقية التي قامت عليها الأمة في عصور ازدهارها.

تشخيص أسباب التراجع الحضاري

من أبرز مظاهر الوعي الحضاري في الرواية أن الكاتب لا يكتفي بتصوير نتائج الأزمة الحضارية، بل يتجه إلى تحليل أسبابها وجذورها العميقة. فالرواية تنطلق من قناعة مفادها أن ضياع القدس ليس حدثًا معزولًا، وإنما هو نتيجة لمسار طويل من التراجع الفكري والأخلاقي والسياسي الذي أصاب الأمة الإسلامية. ولذلك يربط الكيلاني بين الاحتلال الخارجي والانهيار الداخلي، ويرى أن الأول ما هو إلا نتيجة طبيعية للثاني.

ويظهر هذا المعنى في قول عمر:

"إنها هزيمة... نحن الذين نسجنا الهزيمة بأيدينا"

ويعد هذا النص من أهم النصوص الحضارية في الرواية، لأنه ينقل المسؤولية من الخارج إلى الداخل، ويجعل الأمة مطالبة بمراجعة ذاتها قبل البحث عن شماعة تعلق عليها أسباب فشلها. كما ينتقد الكاتب مظاهر التفرق والانقسام التي أصابت الأمة الإسلامية، ويرى أنها من أهم أسباب ضعفها وفقدانها لقدرتها على مواجهة التحديات. فغياب الوحدة لا يؤدي فقط إلى الضعف السياسي والعسكري، بل يؤدي أيضًا إلى انهيار الشعور بالمصير المشترك الذي يشكل أساس أي مشروع حضاري.

ربط النهضة بالعقيدة الإسلامية

تقوم الرؤية الحضارية في الرواية على أساس عقدي واضح، إذ يؤكد الكيلاني أن الحضارة الإسلامية لم تكن نتاج عوامل مادية فحسب، وإنما كانت ثمرة مباشرة للعقيدة الإسلامية وما تولد عنها من قيم وسلوكيات ومبادئ. ومن أبرز النصوص الدالة على ذلك قول عمر:

"لقد كانت قوتكم في إيمانكم... أنتم كنتم خير أمة أخرجت للناس".

ويكشف هذا النص عن جوهر الرؤية الإصلاحية في الرواية، حيث يجعل الإيمان مصدر القوة الحضارية، ويربط بين التقدم والالتزام بالقيم الإسلامية.

كما يقرر عمر في موضع آخر:

"دخلت حملة عقيدة أولاً، وفي ظل العقيدة الخالصة الصادقة ثبتت القيم الفاضلة وتولد الحضارات ويسعد البشر".

ويعد هذا النص بمثابة بيان حضاري مكثف يلخص فلسفة الكيلاني في فهم التاريخ والحضارة؛ فالحضارات في نظره لا تقوم على القوة العسكرية أو التفوق الاقتصادي وحدهما، وإنما تقوم قبل ذلك على منظومة فكرية وأخلاقية تمنحها الاستمرار والفاعلية. ومن هنا تصبح العقيدة في الرواية ليست مجرد عنصر ديني، بل قاعدة أساسية في مشروع النهضة الحضارية.

القدس رمزًا للهوية الحضارية

لا تظهر القدس في الرواية بوصفها مكانًا جغرافيًا فحسب، بل تتخذ بعدًا رمزيًا واسعًا يجعلها تمثل جوهر الهوية الحضارية للأمة الإسلامية. فالقدس في الوعي الإسلامي ترتبط بالإسراء والمعراج، وترتبط بتاريخ الأنبياء، كما ترتبط بالعهدة العمرية التي تمثل نموذجًا فريدًا للتسامح والعدل في التاريخ الإنساني. ولذلك فإن ضياعها في الرواية لا يمثل فقدان مدينة فقط، وإنما يمثل ضياع جزء من الذاكرة الحضارية للأمة. وقد نجح الكيلاني في توظيف هذا البعد الرمزي ليجعل قضية القدس قضية وعي حضاري قبل أن تكون قضية سياسية.

فالرواية تؤكد أن تحرير القدس يبدأ بتحرير الإنسان المسلم من عوامل الضعف والفرقة والتبعية الفكرية. ولهذا فإن استعادة القدس في الخطاب الروائي ليست غاية مستقلة، بل نتيجة طبيعية لعملية إصلاح حضاري شاملة تستهدف إعادة بناء الإنسان والأمة معًا.

استنهاض روح المسؤولية الحضارية

من أهم مظاهر الوعي الحضاري التي تبرزها الرواية دعوة الفرد إلى تحمل مسؤوليته تجاه أمته وقضاياها المصيرية. فالشخصيات الإيجابية في الرواية لا تنتظر الحلول الخارجية، ولا تستسلم لليأس، بل تؤمن بقدرتها على التغيير والمشاركة في صناعة المستقبل. ويعكس هذا التوجه رؤية الكيلاني التي تجعل النهضة مسؤولية جماعية تبدأ من الفرد وتمتد إلى المجتمع بأسره. كما تؤكد الرواية أن الشعور بالمسؤولية لا يقتصر على

الجانب السياسي أو العسكري، بل يشمل مجالات التربية والتعليم والثقافة والأخلاق والعمل، لأن الحضارة بناء متكامل لا يمكن أن يقوم على جانب واحد دون غيره.

يتضح من خلال ما سبق أن بناء الوعي الحضاري يمثل محورًا أساسيًا في رواية عمر يظهر في القدس، وأن الكاتب نجح في تجسيد هذا الوعي من خلال:

1. استحضار شخصية عمر بن الخطاب بوصفها نموذجًا حضاريًا وإصلاحيًا.
2. تحليل أسباب التراجع الحضاري وربطها بالعوامل الداخلية.
3. التأكيد على دور العقيدة الإسلامية في صناعة الحضارة.
4. تقديم القدس بوصفها رمزًا للهوية الحضارية الإسلامية.
5. ترسيخ الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية تجاه مشروع النهضة.

ومن ثم فإن الرواية لا تقدم تفسيرًا لأزمة الأمة فحسب، بل تقدم أيضًا رؤية متكاملة للإصلاح الحضاري تستند إلى المرجعية الإسلامية وتستهدف إعادة بناء الإنسان والأمة معًا.

الرؤية الإصلاحية وآليات التغيير في رواية "عمر يظهر في القدس"

إذا كان الوعي الحضاري يمثل الإطار الفكري الذي تنطلق منه الرواية، فإن الرؤية الإصلاحية تمثل الجانب العملي الذي يقترحه نجيب الكيلاني للخروج من حالة التراجع الحضاري التي تعيشها الأمة الإسلامية. فالرواية لا تكتفي بتشخيص الأزمة أو رصد مظاهرها، وإنما تسعى إلى تقديم مشروع إصلاحي متكامل يقوم على إعادة بناء الإنسان المسلم فكريًا وروحيًا وأخلاقيًا، باعتباره محور أي عملية تغيير حضاري.

وتكشف القراءة المتأنية للرواية أن الكيلاني ينطلق من رؤية إسلامية ترى أن النهضة الحقيقية لا تبدأ من الوسائل المادية وحدها، وإنما تبدأ من إصلاح الإنسان وإعادة تشكيل وعيه وفق مبادئ الإسلام وقيمه. ومن هنا جاءت الرواية حافلة بالحوارات والمواقف التي تؤكد ضرورة العودة إلى مصادر القوة الحضارية التي صنعت مجد الأمة في الماضي.

العودة إلى العقيدة بوصفها أساس الإصلاح

تقوم الرؤية الإصلاحية في الرواية على الإيمان بأن العقيدة الإسلامية هي المنطلق الأول لأي مشروع نهضوي. فالأمة التي فقدت ارتباطها بمبادئها وقيمها لا تستطيع أن تستعيد مكانتها الحضارية مهما امتلكت من وسائل القوة المادية. ولهذا يحرص عمر في الرواية على تذكير المسلمين بأن سر القوة التي صنعت انتصاراتهم الأولى لم يكن التفوق العسكري أو الاقتصادي، وإنما قوة الإيمان وصدق الانتماء إلى الرسالة الإسلامية. فالعقيدة في التصور الذي تقدمه الرواية ليست مجرد شعائر دينية، بل هي قوة دافعة تشكل رؤية الإنسان للحياة وتحدد موقفه من نفسه ومجتمعه والعالم من حوله. ويؤكد الكاتب أن الانفصال بين العقيدة والسلوك كان من أهم أسباب التراجع الحضاري، لأن الحضارة الإسلامية قامت في أصلها على التلازم بين الإيمان والعمل، وبين القيم والممارسة الواقعية.

بناء الإنسان محور النهضة الحضارية

يرى الكيلاني أن أي مشروع إصلاحي يبدأ ببناء الإنسان قبل بناء المؤسسات أو الأنظمة السياسية. ولذلك تركز الرواية على الإنسان المسلم بوصفه محور عملية التغيير وغايتها في الوقت نفسه. فالشخصيات الإيجابية في الرواية تتميز بالإيمان والوعي والشعور بالمسؤولية، بينما تجسد الشخصيات السلبية مظاهر السلبية والانهزامية والاغتراب عن الهوية. ومن خلال هذا التباين يؤكد الكاتب أن التغيير الحضاري يبدأ من إصلاح الفرد وتحريره من مشاعر العجز والاستسلام.

وتنسجم هذه الرؤية مع التصور الإسلامي الذي يجعل تغيير الواقع مرتبطًا بتغيير الإنسان نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)

وتظهر هذه الفكرة في مواضع متعددة من الرواية حين يرفض عمر إرجاع أسباب الهزيمة إلى عوامل خارجية فقط، ويصر على أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من داخل النفس الإنسانية.

التربية وبناء الوعي

لا تنظر الرواية إلى التربية باعتبارها عملية تعليمية محدودة، وإنما تقدمها بوصفها مشروعًا حضاريًا يهدف إلى تكوين الإنسان الرسالي القادر على تحمل المسؤولية. فالأمم لا تنهض – في تصور الكيلاني – بالخطابات الحماسية وحدها، وإنما تنهض من خلال إعداد أجيال واعية بقضاياها، مؤمنة برسالتها، قادرة على التمييز بين الحق والباطل.

ولهذا تبرز في الرواية أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية في بناء الشخصية الإسلامية، كما تتكرر الدعوة إلى تنمية الوعي التاريخي والحضاري لدى الأفراد حتى لا يتحولوا إلى مجرد متلقين للأحداث أو ضحايا للظروف.

ويؤكد الكاتب أن الاحتلال الفكري والثقافي أخطر من الاحتلال العسكري؛ لأن الأول يستهدف العقول والقيم، بينما يظل الثاني نتيجة طبيعية لضعف المناعة الفكرية والحضارية.

المقاومة في إطارها الحضاري

لا تقدم الرواية المقاومة بوصفها مجرد مواجهة عسكرية، وإنما تجعلها جزءًا من مشروع حضاري شامل. فالمقاومة في التصور الذي يقدمه الكيلاني تبدأ من مقاومة الجهل والتبعية والانحراف الأخلاقي، ثم تمتد إلى مقاومة الاحتلال والدفاع عن الأرض والمقدسات. ومن هنا ترتبط المقاومة في الرواية بالوعي والإيمان والتربية، لأن القوة العسكرية وحدها لا تكفي لتحقيق النصر ما لم تستند إلى قاعدة أخلاقية وفكرية متينة. ويؤكد الكاتب أن تحرير القدس لا يمكن أن يتحقق من خلال ردود الفعل المؤقتة، وإنما يحتاج إلى مشروع حضاري طويل المدى يعيد بناء الإنسان والأمة معًا.

الأبعاد الفنية في بناء الوعي الحضاري في رواية "عمر يظهر في القدس"

لا تنفصل القيمة الفكرية في رواية *عمر يظهر في القدس* عن قيمتها الفنية، إذ أدرك نجيب الكيلاني أن الرسالة الإصلاحية لا تحقق أثرها المرجو إذا قُدِّمت في صورة خطاب مباشر أو وعظي، ولذلك حرص على توظيف أدوات الفن الروائي توظيفًا واعيًا لخدمة رؤيته الحضارية. وقد أسهمت مجموعة من التقنيات الفنية في بناء الوعي الحضاري داخل الرواية، من أبرزها: استدعاء الشخصية التاريخية، والمفارقة الزمنية، والحوار، والرمز، والبناء السردي.

توظيف الشخصية التاريخية

يُعد استحضار شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبرز تقنية فنية اعتمدها الكيلاني في الرواية. فالشخصية التاريخية هنا لا تؤدي وظيفة سردية فحسب، بل تتحول إلى أداة نقدية تكشف اختلالات الواقع المعاصر. وقد نجح الكاتب في تجاوز التوظيف التقليدي للشخصية التاريخية الذي يكتفي باستحضار الماضي وتمجيده، فجعل عمر شخصية فاعلة تتحاور مع الواقع وتناقشه وتكشف أزماته. ومن خلال هذا التفاعل المستمر بين الشخصية التاريخية والواقع المعاصر استطاع الكاتب أن يخلق مساحة واسعة للتأمل والمقارنة بين زمنين مختلفين. كما أن اختيار عمر بن الخطاب تحديدًا لم يكن اختيارًا اعتباطيًا، بل جاء لما تمثله هذه الشخصية من قيم العدل والقوة والمسؤولية والزهد والنزاهة، وهي القيم التي يسعى الكاتب إلى إحيائها في الوعي الإسلامي المعاصر.

المفارقة الزمنية والحوار بين الماضي والحاضر

اعتمدت الرواية على مفارقة زمنية فنية تقوم على نقل شخصية عمر بن الخطاب من القرن الأول الهجري إلى القرن العشرين، وهي تقنية أتاحت للكاتب إقامة حوار حضاري بين الماضي والحاضر. وقد أسهم هذا البناء الزمني في تعميق الرؤية الفكرية للرواية، إذ أصبح الماضي مرآة يُقاس بها الحاضر، وأصبح الحاضر مجالًا لاختبار القيم التي قامت عليها الحضارة الإسلامية الأولى. ومن خلال هذه المفارقة لا يدعو الكاتب إلى العودة الحرفية إلى الماضي، بل إلى استلهام مبادئه وقيمه. وهكذا يتحول الزمن في الرواية إلى أداة فنية لإثارة الأسئلة الحضارية الكبرى المتعلقة بأسباب التقدم والتراجع.

الحوار بوصفه أداة لبناء الوعي

يشكل الحوار أحد أهم العناصر الفنية في الرواية، وقد وظفه الكيلاني لإيصال رؤيته الفكرية والإصلاحية. فمعظم الأفكار الحضارية لا تُقدَّم في صورة تقريرية، وإنما تُطرح من خلال حوارات تدور بين عمر والشخصيات المختلفة. ويمنح هذا الأسلوب النص حيوية ومرونة، ويجعل القارئ شريكًا في عملية التفكير والتحليل. كما أن

الحوار يؤدي وظيفة تعليمية وتربوية، إذ يتيح عرض وجهات نظر متعددة ومناقشتها قبل الوصول إلى النتائج المطلوبة، الأمر الذي يعزز البعد الفكري للرواية دون أن يفقدها طابعها الفني. ومن خلال الحوار تتكشف أسباب التراجع الحضاري، كما تتضح سبل الإصلاح والنهضة التي يدعو إليها الكاتب.

الرمزية الحضارية

اعتمد الكيلاني على عدد من الرموز التي وسعت من أفق الدلالة في الرواية. فالقدس ليست مجرد مدينة، وإنما ترمز إلى هوية الأمة وذاكرتها الحضارية ومقدساتها الدينية. كما أن عمر بن الخطاب لا يمثل شخصية تاريخية فحسب، بل يرمز إلى النموذج الحضاري الإسلامي القادر على الجمع بين الإيمان والعدل والقوة. أما الاحتلال الصهيوني فلا يرمز إلى احتلال الأرض وحدها، بل يمثل أيضًا نتائج التراجع الحضاري والانقسام الداخلي الذي أصاب الأمة. وقد أسهم هذا التوظيف الرمزي في جعل الرواية تتجاوز حدود المكان والزمان، لتتحول إلى خطاب حضاري موجه إلى الأمة الإسلامية في مختلف مراحلها.

التوازن بين الفن والرسالة

من أبرز خصائص الرواية نجاح الكيلاني في تحقيق التوازن بين البعد الفني والبعد الفكري. فالرواية تحمل رسالة إصلاحية واضحة، لكنها لا تتحول إلى خطاب مباشر أو مقال فكري. وقد حافظ الكاتب على عناصر العمل الروائي من شخصيات وأحداث وصراع وحوار، وفي الوقت نفسه استطاع تمرير رؤيته الحضارية من خلال هذه العناصر ذاتها. ويُعد هذا التوازن أحد أسباب نجاح الرواية وتأثيرها، لأنه جعلها تجمع بين المتعة الفنية والفائدة الفكرية، وهو ما يعد من أهم خصائص الأدب الإسلامي عند الكيلاني.

وبعد هذه الرحلة البحثية في رواية *عمر يظهر في القدس* يتبين أن نجيب الكيلاني لم يكن معنيًا بتسجيل الأحداث أو استعادة الماضي لذاته، وإنما كان يسعى إلى بناء رؤية حضارية متكاملة تستنهض الأمة وتعيد ربطها بمصادر قوتها الروحية والفكرية. وقد استطاع من خلال استحضار شخصية عمر بن الخطاب أن يقيم حوارًا عميقًا بين الماضي والحاضر، يكشف مواطن الخلل ويستشرف آفاق الإصلاح. ومن ثم فإن الرواية تمثل نموذجًا متميزًا للأدب الإسلامي الملتزم الذي يجمع بين الأصالة الفنية والرسالة الحضارية، ويؤكد أن استعادة المكانة الحضارية للأمة لا تبدأ من الأرض فحسب، بل تبدأ من الإنسان والوعي والقيم.

المصادر والمراجع:

1. الكيلاني، نجيب. عمر *يظهر في القدس*، مؤسسة الرسالة، بيروت.
2. الباشا، عبد الرحمن رأفت .*نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد* .مؤسسة الرسالة، 1985 .
3. خليل، عماد الدين .*الأدب الإسلامي: رؤية ومنهج* .مؤسسة الرسالة، 1987 .
4. الندوي، أبو الحسن علي الحسني .*الأدب الإسلامي وصلته بالحياة* .دار القلم، 1985 .
5. قطب، محمد .*منهج الفن الإسلامي* .دار الشروق، 1983 .
6. القاعود، حلمي محمد، *الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية*، دار الوفاء، المنصورة.
7. سعيد يقطين، *انفتاح النص الروائي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 174.
8. محمد بلقاسم بن جيدل، *التفاعل النصي في رواية عمر يظهر في القدس*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.